لغز الفارس مقطوع الرأس

"سليبي هالو" هي بلدة صغيرة وادعة تقع بالقرب من مدينة نيويورك حدثت فيها مجموعة من جرائم القتل الغامضة التي عكرت صفوها ونشرت الذعر بين سكانها الآمنين عام ١٧٩٩، فقامت السلطات في مدينة نيويورك بإرسال المحقق ايكابود كرين من أجل فك لغز هذه الجرائم المروعة، وهو محقق شاب في الرابعة والعشرين من عمره يعتمد المنهج العلمي في عمله ولا يؤمن بالخرافات التي كانت سائدة في عصره، وقد أثار وصوله فضول بعض سكان البلدة، وسخرية وتهكم البعض الآخر، بسبب أساليبه وأدواته الغريبة التي كان يستخدمها في تحقيقاته وفي جمع الأدلة، كاستعماله للمساحيق الكيميائية وأخذ البصمات وتشريح الجثث، وهي أمور لم تكن مألوفة في ذلك الزمان.

وجهاء البلدة حدثوا المحقق الشاب عن قصة الفارس مقطوع الرأس، وهو من فرسان المرتزقة الألمان الذين قاتلوا خلال حرب الاستقلال الأمريكية، وكان سفاحا شرس بث الرعب في قلوب أعداءه لسنوات طويلة حتى تمكنوا أخيرا من قتله ودفنه في الغابة القريبة من البلدة عام ١٧٧٥، ولسبب ما فقد عاد شبحه بعد أكثر من عشرين عاما وشرع في مهاجمة السكان، قتل ثلاثة منهم بالطريقة ذاتها، قطع رؤوسهم بضربة واحدة من سيفه القاطع، ثم حمل الرؤوس معه واختفى.

المحقق كرين لم يصدق القصة، ظنها مجرد خرافة، لكنه ما لبث أن عدل عن رأيه حين قابل شبح الفارس الأسود بنفسه، شاهده بأم عينه وهو يقطع رأس أحد وجهاء المدينة، وقد تسبب هذا المنظر الرهيب بفقدانه لوعيه، وخلال غيبوبته طاردته كوابيس وأطياف الماضي، فتذكر طفولته وأمه التي جرى اتهامها بممارسة السحر ثم عذبت وقتلت بواسطة جهاز العذراء الحديدية.

بعد أن أسترد عافيته، قرر المحقق كرين التوجه نحو الغابة لإماطة اللثام عن سر الفارس الشبح، وقد رافقه في رحلته تلك فتى يتيم كان الشبح قد قتل والده. وهناك في الغابة ألتقي المحقق كرين بساحرة أخبرته بأن سر الشبح يقبع مع جثته تحت شجرة ضخمة تدعى "شجرة الموتى"، فمضى كرين والفتى بحثا عن تلك الشجرة، وانضمت إليهم كاترينا فان تازيل، ابنة أحد نبلاء البلدة التي نشأت بينها وبين المحقق علاقة حب. وسرعان ما عثر الثلاثة على الشجرة الدموية الكئيبة، فشرع المحقق كرين في نبش قبر الفارس الأسود المدفون جوارها، وحين أزاح التراب عن هيكله العظمي أكتشف بأن الجمجمة مفقودة، فأستنتج بأن شخص ما قد أخذها لكي يتحكم بشبح الفارس الأسود الذي سيستمر بحصد رؤوس ضحاياه حتى يستعيد رأسه المفقودة.

يكتشف المحقق كرين بأن السيدة فان تازيل، زوجة أب كاترينا، هي التي أخذت الجمجمة وسخرت قدرات الفارس الأسود من أجل قتل أناس معينين في البلدة بهدف الانتقام لعائلتها واستعادة أرثها المسلوب. لكن المحقق ينجح في النهاية من استرداد الجمجمة ويعيدها إلى الفارس الأسود

الذي ما أن يقوم بتركيب رأسه مجددا حتى يستدير بفرسه نحو شجرة الموتى ويقفز إلى داخلها مصطحبا معه السيدة فان تازيل الشريرة لتؤنس وحدته في العالم لآخر!.

القصة الأصلية

ايكابود كرين معلم طويل .. هزيل .. يؤمن بالخرافات بشدة .. ويتنافس مع شاب مشاكس وماكر يدعى بروم بونيز من أجل الفوز بيد الآنسة الحسناء كاترينا فان تازيل.

وفي إحدى ليالي الخريف الكئيبة والباردة، بعد مغادرته لحفل ساهر في منزل أسرة فان تازيل، يتعرض المعلم كرين إلى مطاردة عنيفة من قبل فارس مقطوع الرأس، وبحسب القصة، فأن ذلك الفارس الشبح فقد رأسه بطلقة مدفع خلال إحدى معارك حرب الاستقلال الأمريكية، لذلك هو يمضي كل ليلة إلى ساحة تلك المعركة بحثا عن رأسه المفقود.

المعلم كرين يختفي من البلدة فجأة بعد تلك المطاردة المخيفة، وباختفائه يتزوج بروم بونيز من الجميلة كاترينا فان تازيل. لكن القصة لا تخبرنا شيئا عن مصير المعلم، ولا عن حقيقة وسر الفارس مقطوع الرأس، لكنها تلمح ضمنا إلى أن بروم بونيز، الذي كان يعلم جيدا مدى إيمان ايكابود كرين بالخرافات، هو الذي دبر خدعة الفارس مقطوع الرأس من أجل إخافة كرين ودفعه إلى مغادرة البلدة.

أصل الأسطورة

قصة فلم "سليبي هالو" خيالية تماما، وبالمقابل فأن أسطورة الفارس مقطوع الرأس تعود في جذورها إلى التراث والفلكلور الأوربي، ففي المعتقدات الشعبية الايرلندية هناك خرافة قديمة عن فارس مقطوع الرأس يدعى دولاهن (Dullahan)، هذا الفارس الشبح يمتطي صهوة حصان أسود ويضع رأسه المقطوعة تحت يده، ولرأسه المقطوعة عينان صغيرتان تتحركان باستمرار وفم بشع يمتد إلى جانبي الرأس وبشرة غريبة تشبه في هيئتها وقوامها الجبن العتيق.

الدولاهن يمضي دون هوادة بين الحقول والقرى والبلدات، يمسك بيده سوطا طويلا مصنوعا من عظام وفقرات الموتى، لا يوقفه شيء، فجميع الأبواب بوجهه مشرعة، وجميع الأقفال تسقط أمامه من تلقاء نفسها. لكنه مثل أغلب المخلوقات الأسطورية لديه نقطة ضعف .. ونقطة خوف الدولاهن الوحيدة هي خوفه من الذهب، فحتى قطعة صغيرة من الذهب قد تجعله يولي هاربا.

الدولاهين هو نذير الموت لدى الايرلنديين، توقفه في مكان ما يعني بأن شخصا ما سيموت في تلك البقعة، وإذا توقف ونادى بأسم شخص ما، فأن ذلك الشخص ميت لا محالة في أقرب وقت. طبعا هذا لا يعني بأن الدولاهين هو الذي يقبض أرواح الناس .. لا .. لكنه يمتلك القدرة على التنبؤ بموعد الموت ويمكنه الإحساس بدنو اجل شخص ما.

أكثر ما يغيض الدولاهن هو أن ينظر إليه الناس، ومن يجرؤ منهم على فعل ذلك يعاقب بضربة نارية من سوط الدولاهن تقتلع عينيه من

محجريهما، أو قد يسكب عليه الدولاهن وعاءا من الدم، وهذه تكون دلالة على دنو أجله.

خرافة الدولاهين ما تزال شائعة بين الناس، فأحد القصاصين الأيرلنديين يتحدث عن تجربته مع الدولاهين قائلا :

"لقد رأيت الدولاهين بنفسي، توقف عند المساء على سفح تل بين براينزفورد ومونيسكالب، مباشرة بعد أن بدأت الشمس بالمغيب. كان بدون رأس، وهو يحمل رأسه المقطوع تحت يده، وسمعته ينادي أسما فوضعت يدي على أذني خشية أن ينادي أسمي. وحين نظرت إليه ثانية، كان قد اختفى. لكن بعد فترة قصيرة وقع حادث سيارة رهيب على نفس التل راح ضحيته شاب .. حتما كان هو الذي نادى الدولاهين على أسمه".